# شارنسكي نبي الديمقراطية الجديد!

11-2-2005

**غير أنه من واقع أحاديثه وخطاباته يحرص شارنسكي على الربط في الذهنية الغربية التي يخاطبها على تصوير كيف أن إسرائيل تقع في ذات الخندق الغربي المتحصن ضد "الإرهاب الإسلامي العربي"، مثله مثل غيره من الساسة الإسرائيليين الذين يجيدون التعامل مع الإعلام الغربي ويتحدثون لغته ببراعة**

**بقلم** أميمة عبداللطيف

لمن يقرأ الرئيس الأمريكي الآن؟ ليس لأحد من عصبة المحافظين الجدد التي ساهمت في تشكيل رؤيته وتفسيره للأحداث خلال الفترة الرئاسية الأولي عبر كتابات ورسائل رسمت له خريطة العالم الجديد ما بين نظم تتهاوى وبلاد تحتل ومناطق يعاد تشكيلها وفق قواعد لعبة جديدة. هو عالم تديره أمريكا بشكل فيه من الكوربراتية والإيدلوجية الشيء الكثير.

بوش هذه الأيام متأثر جدا بكتاب لناتان شارنسكي الوزير في حكومة شارون لشئون القدس والمهاجرين والمعنون "دفاعا عن الديمقراطية: قوة الحرية للقضاء على الطغيان والإرهاب". وقد بلغ التأثر حدا ضمَن فيه بوش –بحسب جريدة النيويورك تايمز- خطابه عن حالة الإتحاد الكثير من الأفكار التي أشار إليها شارنسكي في كتابه.

وتبدو الفكرة الجوهرية التي يسوق لها شارنسكي عبر صفحات كتابه قائمة على أن ثمة هوة أخلاقية شديدة الاتساع بين ما وصفها بـ"المجتمعات الحرة" التي تدعم السلام و"مجتمعات الخوف" التي تدعم الحرب. واعتبر أن نشر الديمقراطية ليس مهما فحسب، وإنما هو جوهري لـ"الحفاظ على حضارتنا". ليس

مفهوما بالطبع عن أي حضارة يتحدث شارنسكي الروسي -متعدد الهويات-، وهو الذي اتهم في أواخر السبعينات بالتجسس لصالح الولايات المتحدة ثم أعاد إكتشاف يهوديته فهاجر لإسرائيل وحصل علي جواز سفر إسرائيلي ودخل في معترك السياسة الإسرائيلية في 1996 كرئيس لحزب المهاجرين الروس. غير أنه من واقع أحاديثه وخطاباته يحرص شارنسكي على الربط في الذهنية الغربية التي يخاطبها على تصوير كيف أن إسرائيل تقع في ذات الخندق الغربي المتحصن ضد "الإرهاب الإسلامي العربي"، مثله مثل غيره من الساسة الإسرائيليين الذين يجيدون التعامل مع الإعلام الغربي ويتحدثون لغته ببراعة. ولا يمل شارنسكي من تكرار صيغة "نحن" في أحاديثه مع الغربيين فـ"نحن ندرك ونفهم ما مدى قوة وجود أسلحة الدمار الشامل في أيدي الإرهابيين"، و"نحن ندرك ونقدر أسلحة البناء الشامل التي نملكها نحن في العالم الحر". وهو يحرض محدثيه الغربيين على أن يكون لديهم "الشجاعة لمواجهة المجتمعات التي تدعم الإرهاب".

حاليا يتمتع شارنسكي، البالغ من العمر 57، بظهور إعلامي مكثف في الصحافة الأمريكية حيث لقي كتابه الترويج بشكل لا يخلو من المبالغة. وهو في كل مقابلاته الصحفية يبدو متكأ علي ماضيه "النضالي" كأحد سجناء الرأي الذين عانوا من الحكم الديكتاتوري في الأتحاد السوفيتي السابق ثم تحوله لسياسي محترف في إسرائيل. هذا الإرث منحه زخما إعلاميا قويا في أمريكا بحيث أن كل المقابلات التي أجريت معه، وكل من قرأ كتابه لا يملك إلا أن يكيل له المديح.

في إحدى محاضراته في مجلس كارنيجي في سبتمبر الماضي وجه شارنسكي النصح للأمريكيين بأن لا يتخذوا "الديكتاتوريين

حلفاء" لهم، لأن هؤلاء "لا يعتمدون علي شعوبهم". ولا يفوت المناسبة تلو الأخرى ليتحدث عن الأنظمة العربية بشكل ينضح بكراهية لا تخلو من عنصرية بغيضة، والغريب في الأمر أن بعضا من هذا الأفكار تتسلل بشكل فوري إلى خطاب مراكز الفكر، ليست فحسب الموالية للتوجهات اليمنية المتطرفة -فهذا متوقع-، بل حتى تلك التي تملك تاريخا من الليبرالية، تتبني الكثير من مفرادات الخطاب الشارنسكي.

وفي محاضرة كارنيجي كان هناك خلط أوراق بشكل إحترافي قام به شارنسكي، فهو يقفز من تجربته في الاتحاد السوفيتي باعتباره معتقلا سياسيا للحديث عن المجتمعات العربية التي تحكمها ديكتاتوريات، اعتبر شارنسكي أن مصر رغم تلقيها أرباحا كبيرة من عملية السلام إلا أنها فقدت شيئا مهما وهو كون إسرائيل عدوا، واعتبر أن مصر "أكبر دولة بها معاداة للسامية"، وأن أكبر عدد من المقالات عن الصهيونية تنشر في الصحافة المصرية وهو يعتبر أن هذا عقابا رادعا توقعه مصر بحق هؤلاء اليهود الموجودين في إسرائيل "لتسببهم في فقدان مصر إسرائيل كعدو سياسي".

وتنال السعودية من نقد شارنسكي الكثير، فهو يحذر الأمريكيين من أنه "لكي تحيا هذه العائلة من الديكتاتوريين في السعودية هم بحاجة لدعم الإرهاب باستمرار، وإذا ما توجهت بأنظارك إلى الشيشان أو الصراعات في أوروبا أو آسيا، فكم عدد القادة الروحيين الذين تلقوا تعليمهم في السعودية؟".

"إن ثمن الاستقرار في السعودية هو الإرهاب في كل أنحاء العالم وهي لا تقدم لنا أي إستقرار، ومن أجل أن يستقر هذا النظام الذي يحكم بالخوف عليه أن يوجد عدو وهذا العدو هو العالم الحر"، "لذلك لا يمكن أن نعتمد علي الديكتاتوريين

كحلفاء لأن هذا الذي يقابلك اليوم كصديق سوف يواجهك غدا كعدو". أما السلطة الفلسطينية فنالت أيضا من التقريع والخطاب الذي يحمل في ثناياه عنصرية فجة، وتأتي في صورة نصائح يوجهها للغرب لكي يعرف كيف يتعامل مع "السلطة الفلسطينية"، فهو يرى بأن المدارس ووسائل الإعلام الفلسطينية استخدمت "لتسميم عقول أجيال من الفلسطينيين ضد اليهود وإسرائيل، وأن علي العالم الحر أن يطلب بتوقف هذا الأمر".

هذا غيض من فيض كتابات شارنسكي وتصريحاته لآلة الإعلام الغربية والأمريكية التي تجيد السمع لنبي الديمقراطية الجديد والذي يروج له باعتباره على درجة عالية من الصدقية والأخلاقية. ليس مستغربا أن يعجب الرئيس بوش بهذه الأفكار فهي تصب في ذات الرؤية التي يؤمن بها ويدعمها كما أوضح في خطاب حالة الإتحاد. بل إن هناك تماهيا واتفاقا تاما بين رؤية شارنسكي للعالم العربي ورؤية جوقة بوش من المحافظين الجدد، فهو يكاد يكون واحدا منهم بل إن كلمته ربما صارت مسموعة أكثر من أخرين داخل الإدارة.

حين يسأل شارنسكي عن الاهتمام الذي يوليه الرئيس بوش لكتابه وأفكاره لايخفي سعادته بهذا الاهتمام، لأنه على حد قوله "أخيرا سيستمع أحد لما يقول وهو الذي كان يأمل في أن يحقق الكتاب صدى بسيطا في الولايات المتحدة"، وكون الرئيس الأمريكي أول من قرأه وتأثر به، هو أمر لم يكن متوقعا بالنسبة له. ما يجمع بوش وشارنسكي - بحسب رون ديرمر مساعد شارنسكي في تأليف الكتاب- هو "كون الأثنين يؤمنان بشكل عميق بعالمية مفهوم الحرية وقدرتها علي التغيير". ربما نسي ديرمر أن يضيف أن ثمة شئ آخر يجمعهما معا، وهو العدو

المشترك أو ما يحاول شارنسكي لأن يصوره باعتباره عدوا مشتركا للغرب وإسرائيل. إلي أي مدى سينجح شارنسكي في مسعاه؟ يمكن معرفة الإجابة بعد أن ينتهي الرئيس من قراءة الكتاب.